# صورة الشيخ زايد بن سلطان في شعر حمد أبو شهاب

من خلال ديوانه (قصائد مهداه إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان) أنموذجًا

أ.د. أحمد مقبل محمد المنصوري

جامعة الوصل بدبي

dr.almansory@gmail.com

**ملخص:**

يحاول هذا البحث أن يتأمل صورة الشيخ– المغفور له بإذن الله– زايد بن سلطان آل نهيان، من خلال أبرز الشعراء المعاصرين له؛ الشاعر حمد أبو شهاب، وأن يجيب عن السؤال: كيف استطاع الشاعر أن ينقل من خلال الكلمة الشاعرة والخيال الرحب صورة الشيخ؟ وكيف كان الشيخ يهتم بالإبداع والمبدعين من حوله؟

ومن خلال المنهج الوصفي التحليلي كان تعامل الدراسة مع شعر الشاعر المذكور من خلال ديوانه (قصائد مهداه...)؛ بغية تأمل التساؤلات السابقة، والإجابة عنها، مع الاستعانة بالمنهج الأسلوبي في الجزء الأخير من البحث. ولقد توصل البحث– بعد النظر في الديوان المختار للدراسة للشاعر حمد أبو شهاب، المعاصر للشيخ– إلى أن الشاعر انبهر –كغيره من الشعراء– بشمائل الشيخ وأفعاله ومنجزاته، وتفاعل معها تفاعلًا حيًّا، واستطاع أن ينقل باللغة الشاعرة والخيال الرحب صورة الشيخ زايد نقلًا أمينًا صادقًا، بما كان عليه من خيريّةٍ وطيبةٍ وكرمٍ وإنسانيةٍ، حتى بدا شعره سجّلًا حافلًا بمنجزات الشيخ وأمجاده ومبادراته، ووثيقة ناصعة وثّقت أفعاله المضيئة الخيّرة الخالدة، في الوقت الذي حافظ فيه على جماليات الفن.

**الكلمات المفتاحية:** صورة–الشيخ زايد–الشاعر حمد أبو شهاب–قصائد مهداة.

**مقدمة:**

يتفق القريب والبعيد، في الإمارات وخارجها، أن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان–طيب الله ثراه– شكّل علامة فارقة في تاريخ الإمارات المعاصر، وبفضله– مع رفاقه الذين عاصروه وعاضدوه كالشيخ راشد– رحمه الله– وسواه من شيوخ الإمارات– تحقّق لوطنه أعظم منجز في تاريخه؛ هو منجز الاتحاد الذي تم الإعلان عنه في 1971م، فهو رجل الخير والعطاء والنهضة والنماء، ورجل المواقف والنجدات والمنجزات.

ولقد تربع حبه– بشهادة الجميع– في قلوب شعبه، ولا نكاد نجد زعيمًا عربيًّا نال هذه المحبة والقرب من شعبه كما نالها– رحمه الله– واستحقها من شعبه الإمارات، وما تزال ذكراه خالدة بعد مماته، ومكانته في النفوس أعظم مما كان في حياته.

وليس فقط شعبه الإمارات هو من يجله ويحبه؛ فمحبته تجاوزت حدود جغرافية الإمارات، وصارت الأمة العربية والإسلامية وغيرها تشارك شعبه في حبه وإجلاله واحترامه؛ ذلك أن يده السخية الحانية بأعمال الخير لم يقصرها على أحدٍ بل مدها لكل الشعوب والأقطار.

ولقد كُتِبَ عن الشيخ زايد الكثير من الكتب والبحوث والوثائق التي تناولت شخصه وحكمته ومنجزاته وخيريته وإنسانيته وأمجاده وتميزه وفرادة زعامته لكن الشعر يقوم على الاختزال والتكثيف، ولذلك فإن الشعراء المعاصرين له استطاعوا بلغتهم الشاعرة المختزلة أن يختصروا تلك الصفحات، وتلك المجلدات في كلمات شاعرية مختزلة مبنى ومعنى، كشاعرنا–حمد أبو شهاب موضع الدراسة–في اختياراته الرائعة لأجمل ما نقل إلينا عن صورة الشيخ زايد.

**مسوغ الدراسة:**

كان الهاجس الذي راودني قبل البدء بكتابة هذه السطور، متمثلا في المدى الذي عبر فيه الشعراء المعاصرون لسمو الشيخ زايد–طيب الله ثراه– عن شخصه ومنجزاته وشمائله، التي تميّز بها من بين كل القادة، وكنت أتساءل: هل استطاع الشعر مثل المقالات والكتب النثرية المؤلفة أن ينقل أيضا شخصية الشيخ؟ وكيف كان ذلك؟ ومَن أبرز الشعراء الذين كتبوا الشعر الفصيح، ونقلوا لنا الصورة مكتملة أو شبه مكتملة؟ ومع تقليبي لدواوين الشعراء وجدت أن الشاعر حمد أبو شهاب، كان من أبرز الشعراء تفاعلًا مع سموه، وكان من حسن الحظ أن وجدت ديوانًا مختصرًا له لا يضم كل ما قاله عن الشيخ المرحوم، ولكنه ضم أجمل ما قاله فيه، وبالنظر إلى الديوان وجدت أنه أنموذج بارع يمكن من خلاله الوقوف أمام أهم ملامح شخصية المرحوم الشيخ، وبما يكفي عن سواه من الشعراء؛ لاسيما أن الشاعر نفسه هو من اختار أجمل ما قاله في هذا الديوان، وقدّمه هدية للشيخ في حياته، ولذلك لا نستغرب أن تكون هذه القصائد هي زبدة إبداعه وأروع نتاجه، ولذلك وقع عليها الاختيار عليها.

**منهج الدراسة:**

لقد استعنت في بحثي هذا بالمنهج الوصفي التحليلي؛ لسبر أغوار قصائد الديوان الفصيحة منه، مع الاستعانة بالمنهج الأسلوبي في الجزء الأخير منه.

عن **الشاعر حمد أبو شهاب وديوانه:**

ولد الشاعر حمد أبو شهاب في عجمان 1932م واستقر في دبي حتى مماته–رحمه الله– في العام2002م وهو شاعر لا يختلف اثنان على تمكنه في قول الشعر، وغزارته فيه وتنوعه، وقد حظي باهتمام الدارسين والنقاد، وكتبوا عن دراسات قيمة، ومنها: دراسة أ. بلال البدور (الهزار الشادي) ودراسة مؤيد الشيباني (حمد خليفة بوشهاب)

وهذا الديوان–موضوع الدراسة– هو عبارة عن قصائد قالها في مناسبات وطنية عدة، مدح فيها سمو الشيخ زايد–طيب الله ثراه– جمعها في ديوان واحد عنونها ب(قصائد مهداة إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان)، وأغلبها من الشعر الفصيح(سبع قصائد) وقليل منها من الشعر النبطي(قصيدتان) وستكون قراءتنا هنا لقصائده الفصيحة في الديوان المذكور، وهي الأغلب والأكثر فيه، ولم يسبق لأحد من الدارسين أن تناول هذه الزاوية بالسعة التي تم تناولها هنا؛ لاسيما التعويل على جانب المخيّلة والتصوير لمكانة القائد– المغفور

له بإذن الله– من خلال الديوان، إلا ماكان من تقاطعٍ فيما يتعلق بزاويتي الحب والكرم في شخصيته، مع دراسة قيّمة تناولت المدح في شعر حمد أبو شهاب قام بها د.محمد سعيد شحاته. كما تجدر الإشارة إلى أن هناك دراسة عامة بعنوان (زايد في رحاب الشعر والشعراء) ركزت على الشعر النبطي خاصة.

في هذا الديوان اختار الشاعر أجمل قصائده، وخص بها سمو الشيخ المرحوم، وكان ذلك مسوغي لاختياره دون غيره–كما أشرت من قبل– لكي أجيب عن سؤال جوهري راودني كثيرا وهو: كيف بدت شخصية الشيخ– طيب الله ثراه– في عيون الشعراء من أبناء وطنه، من خلال هذا الشاعر المختار للبحث؟ وهل السمعة الطيبة التي نسمعها عنه انعكست أيضا على الشعراء، وخلدها الشعر من خلال هذا الأنموذج أيضًا؟

هذه الأسئلة شكلت لي هاجسًا ودفعتني إلى الاطلاع على الديوان ودراسته وتأمله، وكان لابد من إجراء محاورة متأنية معه، ولقد نتج عن تلك المحاورة والتأمل في سماوات خيال مبدعه أن تشكّلت صورة الشيخ زايد في مخيلته الشاعرة من خلال خطة البحث التي رأيت أن أقدّم مباحثه على النحو الآتي:

- **المبحث الأول– زايد رجل الخير:**

يبرز الديوان هذه القيمة التي لا تخفى على أحد؛ خيرية الشيخ زايد–رحمه الله– ولقد طفق الشاعر أبو شهاب يضرب على هذا الوتر الحساس في نواح عدة، وفي قصائد كثر، وهي السمة التي ربما كان يفضلها الشيخ على كل ما عداها، وبالفعل كان خيّرا، وأفعال الخير ميزة أساسية في شخصيته، ولا أظن زعيما عربيا أصيلا تجري في عروقه مكارم العرب والإسلام إلا ويتمنى أن يُعرف بين رعيته وشعبه بهذه الخصلة الجليلة، والحقيقة أن المرحوم الشيخ لم يكن يتصنعها تصنعا، وإنما كانت صفة متأصلة فيه ومتجذرة؛ لذلك بدت هذه الصفة طاغية على كل الصفات والخصال والشمائل، وبها ارتبط اسمه، فالشعراء وغير الشعراء يرددون (زايد الخير) دون أن يختلف اثنان على هذه السمة التي اختص بها واستحقها بجدارة من بين كل الزعماء فصار واحدها بلا منازع!

يقول حمد أبو شهاب في قصيدة له احتفاء بتسلم المغفور له زمام الحكم في أبو ظبي1966م مؤكدا قدوم الخير فأخذ يزف البشرى ويصف فرحة الناس/الشعب بمقدمه حاكما واستبشارهم بخيريته منذ توليه الأول للحكم، قائلا:

**إني أرى البِشْرَ يشدو في مرابعه وكلنا فرح بالعهد مسرارُ**

**وكاد أهلٌ له أن يرقصوا طربا وأن تُحرّك للأفراح أوتارُ**

**وأن تسير جموع الشعب هاتفةً تفديك يا زائد الخيرات أعمارُ**

**يا زائد الخير إن الخير يفعله من نصب عينيه إصلاحٌ وإعمارُ**

**يا زائد الخير إن الخير ينهجه أولو البصائر والأبصار أخيارُ**

**ويقول في موضع آخر:**

**يا زائد الخيرات نهجك واضـــــحٌ صافٍ كنبع النهـــــــــــر إذ يتدفقُ**

فالجماهير استبشرت بمقدمه لخيريته، وفرحت بتوليه زمام الحكم، فكان فأل الخير، ونلحظ ارتباط اسمه–رحمه الله– بالخير (يا زائد الخير) وتكرار ذلك أكثر من مرة،كما نرى في النص، وفي غيره من النصوص، مما يوحي بأن ذلك الارتباط حقيقة واقعية لا مجرد لقب وحسب، ومن ثم فقد كان ارتباط اسمه بالخير ميزة حظي بها دون سواه من زعماء وحكام في أرجاء واسعة.

بل إنه في تصور الشاعر–وتصور الشعب الذي يمثله أنموذج الشاعر هنا– زرع الخير بيديه الخيرتين في كل أرجاء الوطن، فنما الوطن/ الإمارات على يديه وأورق وأثمر بالخيرات والمنجزات،

إذ يقول:

**غرست يداك الخير في أرجائها فنما بها زرع وأثمر مورق**

ولم تكن خيريته مقصورة على شعبه الإمارات فقط بل كان خيره ممدودا ومبسوطا على أمته العربية جمعاء، يقول:

**حتى طلعت على دنيا عروبتنا غيثًا ففاض على وهدٍ وآكام**

**فاستبشرت بك بعد اليأس أمتنا واستقبلتك بإجلالٍ وإعظامِ**

**وأيدتك على نهجٍ تطل به إلى غدٍ مشرقٍ باليمن بسّامِ**

**فالله يرعى الإمارات التي اتحدت لخير أمتنا في ظل حكامِ**

إن ظهوره حاكما كان ظهورا لخير الإمارات– رحمه الله– وهو في تصور الشاعر خير عميم، شمل الإمارات وغيرها من مناطق العروبة، فكان في مخيلة الشاعر كالمطر العميم الذي ملأ الوهاد والشعاب وأثمرت بسببه كل البقاع، فصارت خضراء يانعة، وعم الخير كل مكان، فتربع على كل القلوب، وحظي بالحب والإجلال من شعبه ومن أمته.

- **المبحث الثاني– زايد رجل المنجزات:**

كان الاتحاد أبرز منجزات المغفور له–رحمه الله– وبه تحققت كل آمال شعب الإمارات العربية المتحدة في العام 1971م، وتغيرت معه أحوالهم، والشاعر في قصيدته التي ألقاها في العيد الثامن لدولة الإمارات أخذ يذكر الشعب بالماضي كيف كان، والحاضر– بعد الاتحاد– كيف أصبح؛ ليبرز بهذه المقارنة أو الموازنة المنجزات التي تحققت بفضل الاتحاد الذي سعى إليه– طيب الله ثراه– وحققه بتعاون الرفاق من بقية الحكام وعلى رأسهم المغفور له الشيخ راشد آل مكتوم، حين قال:

| | |
|---|---|
| بالأمس كنا إمارات ممزقة | يعيث فيها فسادا كل هدّامِ |
| واليوم تنعم في أمن وعافيةٍ | وترغم الحاقد الساعي لإرغامِ |
| بالأمس كنا إمارات تعيش على | جهل وفقر وأوصاب وأسقامِ |
| بالأمس ما كان يدري عن مرابعنا | من عالم الأرض إلا بعض أقوامِ |
| واليوم صار لنا في كل ناحيةٍ | في مسمع الدهر صوت واضح سامِ |
| شتان ما بين ماضينا وحاضرنا | شتان بين منارات وإظلامِ |
| لا بد أن نجعل الماضي لنا عبرا | وكيف كنا به في ذل أقزامِ |
| وكيف في حاضر صارت لنا قيم | في ظل وحدتنا نزهو كأعلامِ |
| وفي غدٍ سوف نلقانا عمالقة | نسمو على الكل في عزم وإقدام |

إن القصيدة واضحة في موازنة ماضي الإمارات بحاضرها بعدما تحقق الاتحاد، وهنا وبسبب المقارنة، يكبر حجم هذا المنجز العظيم في القلوب، وتسهر على حمايته العيون، فالماضي كان تمزقا وفسادا وضعفا وجهلا ومرضا وفقرا، وبعد الاتحاد صارت القوة والعلم والنظام والترف والبناء، وصارت الإمارات بلدا لا نظير له في التقدم والمدنية والحضور الإقليمي والعالمي، والمستقبل المشرق الزاهي، وكل هذا تحقق بفضل الاتحاد الذي كان سمو الشيخ– المغفور له بإذن الله– سببًا فيه.

بل إن الاتحاد حول الوطن من الصحراء إلى روضة غناء:

**يسرني أن أرى أرض الخليج وقد تجلببت حللا خضرا قشيباتِ**

**ومنجزات أقرت عين صاحبها مهما تحمل فيها من مشقاتِ**

**لكنها حولت أمس الظلام إلى نور وحولت الصحراء جناتِ**

**وحطمت عنفوان الجهل واتجهت تبني الحياة على أقوى الدعاماتِ**

والأبيات أعلاه تشير إلى المنجزات التي تحققت، وتحولت بموجبها صحراء الوطن القاحلة إلى ساحة جنان خضراء تسر النفوس، ومن ظلام إلى نور، وكل ذلك يسعد عين من حققها، وهو سموه– رحمه الله–، ثم إن الأبيات تكشف عن أن تحقيق هذه المنجزات لم يأتِ من فراغ؛ فالقائد الحريص على شعبه وتحقيق أحلامه لا بد أن يبذل جهودا ومشقات في الليل والنهار وإلا لما تحققت، وهذا ماكان من سموه

–رحمه الله– ومع الاتحاد تحقق الخير والأمن الهانئ بحياة يعز نظيرها، يقول:

**لزائد الخير من في ظله التأمت جموعنا في اتحاد آمن هاني**

وتتماهى صورة الأرض الخضراء المثمرة بعد أن تعهدها الزارع بالحرث والسقي والاهتمام حتى غدت ثمارا وأغصانا، تتخللها النسمات ويعلوها الطير وتنبع عيونها بالماء الزلال، بصورة الوطن ومنجزاته التي تحققت بفضل مؤسسه وراعيه ومهندس سياسته وخيراته فلا يجد أفضل من أن يقول :

**غرست يداك الخير في أرجائها فنما بها زرع وأثمر مورقُ**

**وأحلت بلقعها اليباب حدائقا بكرومها ونخيلها تتأنقُ**

**تتخلل النسمات فيء ظلالها فيطيب منها المنهل المترقرقُ**

**يتنقل الغريد بين رياضها طربا وتبهجه الربى فيحلقُ**

وهو تصوير بديع لمن يحكم شعبا يحبه ويرغب في تحقيق سعادته بصورة مزارع يحب أرضه ويتعهدها في ليله ونهاره حتى تستوي أغصانها، وينعم بحصاد خيراتها فتمتلئ نفسه بالسعادة والحبور والرضا، وينسى تعب الليل والنهار مادامت قد أثمرت أجمل الثمار، وهكذا كان– رحمه الله– حين شهد أمام عينيه خيرات تحقّقت بالاتحاد، وجاء المستقبل بعده، وكان على ما رسمه لهذا الوطن ووضع بذرته وخريطته، وليس أدل على ذلك من حصول الإمارات على المراكز الأولى في كل الميادين بحسب ما سطّره من بعد في قصيدة سمو الشيخ محمد بن راشد في رائعته (مجد الإمارات)، والأقرب دلالة أيضا الوصول إلى المريخ.

ونعود إلى شاعرنا أبو شهاب فنجده وهو يرسم لوحة المنجزات التي حققها المغفور له، لا ينسى رفاقه في تحقيق المنجز العظيم من حكام الإمارات الآخرين؛ لاسيما المغفور له بإذن الله راشد آل مكتوم، في قوله:

**توجت آمال القلوب بوحدة في ظلها علم الحضارة يخفقُ**

**ومضيت تعلي في المحافل شأنها حتى استقر بها المقام الأليقُ**

**للشهم راشد من قواعد صرحها ركن عليه من النضارة رونقُ**

**بكما وبالأمراء ثم بنيكما يحيا البناء وأهله والموثقُ**

ويقول في موضع آخر:

**ولك اليد البيضاء في تاريخنا أنقى من الماء الزلال وأنصعُ**

**وحدتنا في دولة عربية وبأمنها ورخائها نتمتعُ**

**ومضيت تبني في الحياة طريقها وطريقها مجد يشاد ويزرعُ**

**حييت كم لك من يد معطاءة سخرتها في ما يفيد وينفعُ**

**من حوّل الصحراء بعد محولها روضا أريضا بالأزاهر تمرعُ**

**فغدت تموج مروجها وورودها ونخيلها وثمارها المتنوعُ**

- وتمتد المنجزات الإنسانية إلى خارج الوطن:

فلم تتوقف منجزاته وكرمه وخيريته عند حدود خريطة بلده فلقد امتدت يده البيضاء إلى بقاع مختلفة من بقاع الأمة والإنسانية، وما من موقف إنساني في أي مكان يستدعي البذل والتعاطف إلا وتجد يده البيضاء سابقة إليه.

ولقد وقف الشاعر أمام حدث مهم في اليمن؛ حيث كان سد مأرب التاريخي العظيم قد تهدّم منذ زمن بعيد، وقد ذكر القرآن جانبا من قصته وقصة أهله (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية...) ولقد تعددت الروايات حول تفجره، وما انطوت عليها من أساطير.

هذا السد المهدّم كان ينتظر يدا سخية عظيمة، تعيد بناءه من جديد، فتعيد لأهل سبأ اليمن مجدهم وزراعتهم واستقرارهم وخيرهم، فكانت يد الشيخ زايد هي المنتظَرة لهذا الصنيع العروبي الإنساني العظيم، ويوم افتتح في العام 1987م برعايةٍ كريمةٍ منه، وقد التفت الجماهير اليمنية حوله مفتخرة بصنيعه هذا، ومقدّرة كرمه وسخاءه العربي الأصيل، مادّة له يد الثناء والإجلال، شدا الشاعر أبو شهاب مخلدًا هذا الحدث بقوله:

**حياك يعربُ عن بنيه وتُبّعُ وتحدّثت عنك الجهاتُ الأربعُ**

**واستقبلتك مروجها ونجودها وقلوبها وأكفها والأذرعُ**

**وشدا معينُ وحِمْير بك والتقى سيف ابن ذو يزن الأبي الأروعُ**

**وترنمت سبأ بلحن خالد إكسيره الذكر الجميل الممتعُ**

**وتطلعت بلقيس من علیائها ترنو إليك وكيف لا تتطلعُ**

**وبك استعاد حفيدها ما حطمت كف الزمان وشتتت ماجمعوا**

**وتأملتك ملامحا وملاحما فرأت صنيعك فوق ما تتوقعُ**

**فلو أن في مقدورها لتحدثت بلسان صدق عنك في ما تصنعُ**

**وأتتك بالخبر اليقين مدعما بوثائق التاريخ وهي المرجعُ**

وليس ذلك بغريب؛ فاليمن أصل لكل عربي أصيل، كما هي أصل الشيخ–طيب الله ثراه– وتأكيدا لذلك يقول الشاعر:

**نبتت فروعك من صميم أصولها وبك الغداة فروعها تتجمع**

وهذا الصنيع خالد الذكرى يفوح عطرا وشذا:

**يابانيًا صرح الرخاء لأمة خلدتَ ذكرا بالشذا يتضوع**

**ذكرًا تردده القرون محامدا ومآثرًا منه المروءة تنبعُ**

**حققت مأربَ مأربٍ في سدّها وأعدت ماضيها فطاب المربعُ**

**لله درك أي وصفٍ ينتقيـ ـه لك الأديب وأي شعر يبدعُ**

واليمن تعرف تماما مكانة الشيخ–رحمه الله– وأياديه البيضاء عليها سواء أكان ذلك في إعادة بناء

هذا السد العظيم، أم في غيره من المواقف التي برز فيها أبا حنونا معطاء شهما كريما.

- **المبحث الثالث– زايد رجل السياسة والحكمة:**

لا يختلف اثنان حول السمات التي طبع بها سمو الشيخ زايد من الحكمة وحسن السياسة وتدبير الأمور، مع تواضع وفطنة ودهاء في فهم كل ما يدور في الداخل والخارج، ولذلك فلقد كان وجوده حاكما حكمة سماوية أرادها الله لشعبه وأمته؛ فالقائد الحكيم خير ونعمة لا مثيل لها، ولذلك فشاعرنا حمد أبو شهاب نجده هنا يسرد جوانب من شخصيته– رحمه الله– فهو ليس حاكما فقط، وإنما يمتلك صفات الأبوة والحنوة والشفقة والرأفة والحكمة والعقل والعدل والهدوء والبشاشة والطيبة:

**ما كان أحوجنا لمثلك راعيا تحنو حنو الوالدين وتشفقُ**

**وإذا تجانف بعضنا علمته أن التآلف بالمروءة أليقُ**

**والعدل أسّ الحاكمين وأمنهم والأمن دون العدل لا يتحقق**

**ماكان أحوجنا لمثلك رائدا تولي ووجهك بالبشاشة مشرقُ**

ويعلم الشاعر أن الحكم صعب، ويحتاج إلى قائد له صفات مثلى وخصائص مميزة وإلا لما قدر على تسييس الأمور ومراودتها ومراوغتها، كالذي يسبح في موج، وعليه أن يساير حركتها وتيارها يمنية ويسره، حتى ينجو من السير عكسها والغرق فيها، وأن يعالج الأمور على نار هادئة، ، فيقول:

**والحكم عبء ولكن القدير له على تحمله عزم وإصرارُ**

**وأنت نعم الأمير الشهم من شهدت بفضل مسعاك أنجاد وأغوارُ**

والمغفور له كان واحدا ممن تتجلى فيهم صفات القائد المثالي من العزم والإصرار والشهامة

وحسن تسيير الأمور بحكمة وعقل وفطنة، وهو ما يشهد له به الجميع، لأنه هدف عال وطريقه صعب وهو طريق أصحاب المجد:

**وزايد في سبيل المجد قائدنا أنعم وأكرم بفياض المروءاتِ**

**ثم إن حكمته وحسن سياسته امتدت إلى أمته ولم تقف عند حدود شعبه، يقول:**

**ولك المواقف نيرات ذكرها في لم شمل العرب وهو مفرقُ**

**أضنيت راحلة الوئام ولم تزل حتى بأعتى نافرٍ تترفقُ**

**فتريه كيف المعضلات تذلها همم الرجال وعزمها المتدفق**

فما من مشكلة تقع في الوطن العربي إلا ويده سباقة في احتوائها وتحمل تبعاتها وإصلاح اعوجاجها، والشاعر هنا يصوره راكبا على راحلة الوئام من بلد إلى بلد لإصلاح ذات البين حتى مع كل نافر وصعب إلا أنه يروضه ويسيره إلى الحسنى وإلى الوئام. وكيف علم الأمة دروسا مهمة بحكمته في حلّ المعضلات، ومهما بدت صعبة إلا انها بعزم القائد المحنك من أمثاله تذلل وتروض.

التعبير الخيالي هنا ممتع جدا فلقد جعل الشاعر الوئام راحلة يمتطيها الشيخ ويسافر بها إلى كل البلدان المتخاصمة لردها إلى ما كانت عليه، وكل ذلك يشير إلى مساعيه الطيبة وإلى نفسيته الفريدة في تواضعها وطيبتها وحبها للسلام والوئام بين الأشقاء والجيران.

ولكم كان قدوة لرعيته، وللقريب والبعيد من الشعوب والحكام، بحسن سياسته وحكمته وروعة تدبيره للأمور وإن كانت مستعصية وجبارة، يقول:

**تباشر العمل الجبار في جذلٍ كي يستنير بك القاصي مع الداني**

**ويقتفي إثرك الأبناء يا أملا يسجل الدهر عنه خير عنوانِ**

- **المبحث الرابع– زايد رجل الكرم والسخاء والشهرة:**

لم يكن كرم الشيخ– رحمه الله– أقوالا يرددها الشعراء في مدائحهم وحسب بل كان واقعا ملموسا يشهد به البعيد قبل القريب، وهو كرم ارتبط أيضا بالشهرة، ولاشك أن هذه الميزة العربية الأصيلة في شخصه ارتبطت بما ذكرناه سابقا؛ أي بخيريته، فالقائد الخير قائد سخي وكريم، ولم يقف كرمه عند شعبه بل امتدت أياديه البيضاء إلى بقاع شتى، يقول أبو شهاب:

**ومن تحدّثت الدنيا بأجمعها عن فيض كفيك حتى قيل مدرارُ**

**يا من تناقلت الركبان سيرته يامن أشادت به بدو وحضّارُ**

**يا من سما صيته حتى غدا علما تلألأت فيه أضواء وأنوارُ**

**يا منبع الجدول السلسال في زمنٍ جف المعين وغارت فيه آبارُ**

**إن خلد الدهر ذكرى للكريم فكم سارت بذكرك في الأقطار أخبارُ**

**وإن روت كتب التاريخ عن هرمٍ فضلا ففضلك كالأنواء تيارُ**

والمقصود ب(هرم) في البيت الأخير هو الهرم بن سنان الذي كان مع الحارث بن عوف في زمن الجاهلية سببا في إحلال السلام بين القبيلتين المتحاربتين (عبس وذبيان) طوال أربعين سنة، وقد قدّما أموالهما كرمًا وتضحيةً من أجل حقن الدماء، وإحلال السلام بين القبيلتين، ولكن كرمه هذا المشهور في تصوّر الشاعر لا يقارن بكرم الشيخ–رحمه الله– الذي يبدو أكثر تدفقا ومددا.

بل إنه وإن كان نسخة من كرم حاتم الطائي وشهرته، إلا أنه على الرغم من شبهه به وبأجداده في الكرم مميّز عنهم ومتفرد، كتميّز الشمس وتفردها في ضيائها عن الأقمار، يقول في ذلك:

**نسخت من حاتم الطائي ما نقلت عنه الرواة وما ضمته أسفارُ**

**نهجت منهج أجداد لك اتصفوا بالمكرمات وللأجداد آثارُ**

**لكنك الشمس يامن لا نظير له وسالفوا الذكر في الظلماء أقمار**

- **المبحث الخامس– زايد القائد المحبوب:**

سبقت الإشارة إلى أن المغفور له كان يمتلك شمائل لا نظير لها ومنها الخيرية والكرم وتحقيق المنجزات والعدل والطيبة والشهامة وحب الشعب، وكل هذه جعلته محبوبا لدى شعبه وأمته، وهذه هي صفات القائد الناجح الذي يلمس حبه في قلوب شعبه وأمته، ولم يكن حبا عاديا بل هو حب نلمح الشعراء حين يعبرون عنه أنه حب فريد ونادر، يقول أبو شهاب:

**للشعب في جنبيك ودٌّ خالص ولك المحبة والولاء المطلق**

ونرى ذلك حين اللقاء به في مناسبات الوطن وما يعتري الشعب من حب جنوني، يقول:

**إنى أرى البِشْر يشدو في مرابعه وكلنا فرح بالعهد مسرارُ**

**وكاد أهل له أن يرقصوا طربا وإن تُحرَّك للأفراح أوتارُ**

**وأن تسير جموع الشعب هاتفةً تُفديك يازايد الخيرات أعمارُ**

**فإن أحبك هذا الشعب واتجهت إليك عمن سواك اليوم أنظارُ**

**فلا غرابة في هذا ولا عجبٌ فالخير يذكره بالشكر أبرارُ**

**وما الوفود التي جاءت مهنئة إلا دليل بأن الحب أمّار**

**أبا خليفة لو أني شرحت لكم ما بالفؤاد لضاقت عنه أسطارُ**

**ولم يكن الشعب– والشعراء منهم– يكتمون هذا الحب، يقول:**

**يا زايدا في سماء العرب أغنية عصماء يشدو بها صوتي وأنغامي**

**لا أكتم الحب عن قومي وعن وطني فأنت مصدر إنشادي وإلهامي**

ولا يكتمون أشواقهم ولا حنينهم، يقول:

**لبيك يا فارسا طال الوقوف بنا — له انتظارا وشوقا منذ أعوامِ**

**لبيك يا قائدًا كنا نحن إلى — لقائه كحنين الشيق الظامي**

وفي زيارة له–رحمه الله– إلى إمارة (دبي) في 1988م تحتشد الجماهير المحبة، وتلقاه بالزغاريد والتحية والفخر والإعزاز والإجلال، فيرصد الشاعر هذا الفيض من الحب والشوق والإجلال فيقول:

**قف بالمغاني وحي القائد الباني — رمز الإمارات من قاص ومن دانِ**

**رئيس دولتنا بناء نهضتنا — زعيم أمتنا السامي ابن سلطانِ**

**تحية ملؤها ودٌ وتهنئةٌ — أوحى بها من صميم القلب وجداني**

**به نطل على الدنيا برمتها — إطلالة البدر من علياء أكوانِ**

**دبي ترنو إلى لقياك والهة — كما رنت لحبيب ذات أشجانِ**

**حتى قدمت إليها فانتشت طربا — يحدو بها الشوق في حب وتحنانِ**

**واستقبلتك بإجلال وتكرمة — فيها الجماهير من شيب وشبانِ**

**فما الوفود التي جاءت مشاركة — إلا الدليل على حب وعرفانِ**

وهو حب خالد لن تنساه القلوب فقد خلد فيها، ومن العجائب أن الشاعر قال هذه الأبيات في حياته، وها هي ملامح صدقها واضحة بعد مماته، فخلود محبته– رحمه الله– لا تغيرها الأيام والأزمان، يقول:

**سيظل هذا الشعب يذكر زايدا بالفضل فهو بكل فضل أخلقُ**

**خذ من بدائع ما تخط يراعتي دررا على قمم المعاني تشرقُ**

**أوحى بها قلب بحبك مفعم والقلب حين يحب لا يتملقُ**

**فإليك من ذوب الفؤاد تحية أزكى من المسـك الفتيت وأعبقُ**

- **المبحث السادس– صورة زايد في المخيّلة:**

سأخصص هذه الزاوية لصورة الشيخ في مخيّلة شاعرنا، من خلال النماذج الشعرية المختارة سابقا،التي سبق توثيقها من الديوان، للإجابة عن التساؤل: كيف بدت لنا شخصية الشيخ منسوجة مع عوالم الشاعر الخيالية وانفعالاته الشعرية؟

والحقيقة أنه أبدع في نسج صور فنية متخيلة تضع الشيخ في مكانه اللائق في القلوب؛ فهو يصوره بالغيث العميم في قوله:

**حتى طلعت على دنيا عروبتنا غيثًا ففاض على وهد وآكام**

وهي صورة تشبيهية؛ حيث الشيخ يشبه المطر فأحال الدنيا– حين تولى الزعامة –خضرة ونعيما وخيرا.

وبسبب حسن سياسته صار الشعب الإماراتي في علو مجده وشهرته كالبدر المنير وسط السماء

بالنسبة إلى بقية الأمم، وهي صورة تشبيهية أيضا:

**به نطل على الدنيا برمتها إطلالة البدر من علياء أكوانِ**

وأما خيريته ونهج سياسته فتبدو في صفائها ووضوحها وكثرتها كنبع النهر المتدفق، وهي صورة تشبيهية أخرى حيث يقول:

**يا زائد الخيرات نهجك واضـــــــحٌ صافٍ كنبع النهـــــــر إذ يتدفقُ**

ولم تغب صورة حاتم الطائي والأجداد الذين اشتهروا بالكرم عن خيال الشاعر، غير أنه يجعل الشيخ– رحمه الله– كالشمس والآخرين كالأقمار–على منوال النابغة حين جعل ممدوحه شمسا والملوك كواكبا– وفرق كبير بين الشمس والقمر، وهي صورة تشبيهية بديعة، حين يقول لاسيما في البيت الأخير:

**نسخت من حاتم الطائي ما نقلت عنه الرواة وما ضمته أسفارُ**

**نهجت منهج أجداد لك اتصفوا بالمكرمات وللأجداد آثارُ**

**لكنك الشمس يامن لا نظير له وسالفوا الذكر في الظلماء أقمار**

ثم يصور الشيخ– على التشبيه أيضا– بأنه أغنيته العصماء يشدو فيها في كل أشعاره، ويطيب له ترددها والنغم بها، في قوله:

**يا زايدا في سماء العرب أغنية عصماء يشدو بها صوتي وأنغامي**

ويصور الشيخ بالفارس المنتظر الذي اشتاقت قدومه القلوب والعيون منذ أعوام، ويشبه الحنين إليه كالحنين إلى الحبيب وانتظار فرحة اللقاء به في قوله:

**لبيك يا فارسا طال الوقوف بنا له انتظارا وشوقا منذ أعوامِ**

**لبيك يا قائدًا كنا نحن إلى لقائه كحنين الشيق الظامي**

كما شبه انتظار إمارة (دبي) لزيارته التي حددها ذات يوم بالحبيب الذي ينتظر لحظات اللقاء بحبيبه، وقد غالبه الشوق واستبد به الانتظار في قوله:

**دبي ترنو إلى لقياك والهة كما رنت لحبيب ذات أشجانِ**

وأما صيته وسمعته فهي على التشبيه كالعلم/الجبل–وبما يتوافق مع صورة قديمة للشهرة رصدتها الخنساء لأخيها صخر حين شبهته بالعلم الذي في رأسه نار– وهي هنا صورة تشبيهية رائعة للشهرة والعلو والسمعة الواضحة لدى كل الرائين:

**يا من سما صيته حتى غدا علما تلألأت فيه أضواء وأنوارُ**

ويمتد خيال الشاعر في ابتكار صور جديدة حين يتخيل الوئام راحلة–على التشبيه–وقد أتعبها لكثرة ما يسافر عليها الشيخ من مكان إلى آخر ومن بلد إلى ثان ليحقق السلام ويلم الشمل ويطفئ نار الخصومات، وفي ذلك دليل على طيب أصله وحكمته وخيريته:

**ولك المواقف نيرات ذكرها في لم شمل العرب وهو مفرقُ**

**أضنيت راحلة الوئام ولم تزل حتى بأعتى نافرٍ تترفقُ**

**فتريه كيف المعضلات تذلها همم الرجال وعزمها المتدفقُ**

وتتدفق الصور في كثير من القصائد؛ فالشيخ هو كنبع الجدول الفياض لا يتوقف عن تدفق الخير، وهو إن كان شبيها للمخلدين من الكرماء إلا أنه يفوقهم في فضائله الخيرة ،كما في قوله:

**يا منبع الجدول السلسال في زمنٍ جف المعين وغارت فيه آبارُ**

**إن خلد الدهر ذكرى للكريم فكم سارت بذكرك في الأقطار أخبارُ**

**وإن روت كتب التاريخ عن هرم فضلا ففضلك كالأنواء تيارُ**

ولربما نجد أن التشبيه شكل حضورا في النماذج المختارة أعلاه وهو كذلك غير أن بقية الصور كان لها حضورها وتطريز الخيال بملامح من بريقها كالكناية التي بدت في أكثر من زاوية، ومنها التعبير عن كرمه وخيريته باليد البيضاء المعطاءة، ثم التكنية عن منجزاته بتحويل الصحراء إلى روضة غناء في قوله:

**ولك اليد البيضاء في تاريخنا أنقى من الماء الزلال وأنصعُ**

**حييت كم لك من يد معطاءة سخرتها في ما يفيد وينفعُ**

**من حوّل الصحراء بعد محولها روضا أريضا بالأزاهر تمرعُ**

**فغدت تموج مروجها وورودها ونخيلها وثمارها المتنوعُ**

وقوله في التعبير الكنائي عن منجزاته والنقلة الحضارية التي تمت لوطن الإمارات بسبب تسلمه مقاليد الحكم؛ حيث أحال ظلام الأمس إلى نور، مع ملاحظة تشبيه الأمس بالظلام والغد بالنور لكنه يخدم البعد الكنائي في الدلالة على عظمة المنجز، حين يقول:

**ومنجزات أقرت عين صاحبها مهما تحمل فيها من مشقاتِ**

**لكنها حوّلت أمس الظلام إلى نور وحولت الصحراء جناتِ**

وتتدفق كنايات الفرحة والمحبة لتملأ الأجواء والأمكنة حبا وثناء للشيخ:

**حياك يعرب عن بنيه وتُبّعُ وتحدثت عنك الجهات الأربعُ**

**واستقبلتك مروجها ونجودها وقلوبها وأكفها والأذرعُ**

**وشدا معين وحمْير بك والتقى سيف ابن ذو يزن الأبي الأروعُ**

**وترنمت سبأ بلحن خالد إكسيره الذكر الجميل الممتعُ**

وأيضا الكنايات التي تنم عن شهرة الشيخ وسمعته الطيبة المشهود له فيها بكرمه وسخائه بين الأمم في قوله:

**ومن تحدثت الدنيا بأجمعها عن فيض كفيك حتى قيل مدرارُ**

**يا من تناقلت الركبان سيرته يامن أشادت به بدو وحضّارُ**

والتعبير بالكناية عن شدة حب الجماهير لشخص الشيخ إلى درجة أن السطور لا تستوعب مقدار ذلك الحب، كما في قوله:

**أبا خليفة لو أني شرحت لكم ما بالفؤاد لضاقت عنه أسطارُ**

وتتجاوز المحبة في قلوب الشعب آمادها عند استقبال الشيخ وهو ما صورته الكناية في اجتماع الشعب الغفير من شيب وشباب بما يوحي بأن المحبة شاملة جميع الجماهير، كما في قوله:

**واستقبلتك بإجلالٍ وتكرمةٍ فيها الجماهير من شيبٍ وشبانِ**

**فما الوفود التي جاءت مشاركةً إلا الدليل على حبٍ وعرفانِ**

وأخيرا نلحظ من خلال هذه الوقفة الفنية التي كان الهدف منها التمثيل لا الحصر أن الخيال أسهم في اختيار أبدع الصور الشعرية المتخيلة في إيضاح صورة الشيخ–رحمه الله– وهي تتسنم معاني الشهرة والكرم والسخاء والحب والحكمة وحسن السياسة والنبل والمروءة والإنسانية، وهذا يعني أن الخيال قدم صورة الشيخ في أجمل هئية وأحسن منزلة، وبما يتساوى مع الجانب الرؤيوي الموضوعي.

**الخاتمة:**

لقد استطاع الباحث من خلال هذه السطور المتواضعة أن يصل إلى رصد أهم النتائج الآتية:

- أن الشعراء المعاصرين لسمو الشيخ زايد قد بهروا به، وخصصوا جزءا كبيرا من قصائدهم في مدحه، ورصد منجزاته، وأياديه البيضاء داخليًا وخارجيًا.
- أن الشعر حمد أبو شهاب قد عاصر الشيخ زايد في حياته، وكان شعره مرآة صادقة له، عكس من خلاله أهم مرحلة لدولة الإمارات العربية المتحدة؛ هي مرحلة تشكل الدولة الاتحادية، ومارافقها من تحديات.
- أن قصائد حمد أبو شهاب كشفت عن الشخصية المثالية لسمو الشيخ زايد، وأظهرته الأنموذج المثالي في سياسته وحكمته وتواضعه وحبه لشعبه وللإنسانية وفطنته وذكائه في حل المشكلات الداخلية والخارجية.

- أن قصائد حمد أبو شهاب كانت أنموذجا رائعًا مكتملًا للشعر المادح والواصف للشيخ المرحوم.
- أن قصائده المختاره كشفت عن شخصية الشيخ المرحوم؛ فبدت شخصيته على أروع ما تكون عليه الصورة والهيئة.
- أن هذه القصائد المختارة في الديوان قد كشفت عند تحليلها عن حب الشعراء وحب الشعب لشخص سمو الشيخ زايد.
- أن هذه القصائد شملت من كان برفقه سمو الشيخ في تحقيق منجزات الوطن العظيمة؛ كالشيخ راشد، وبقية الشيوخ.
- أن هذه القصائد بينت مقدار ما كان يتسم به سمو الشيخ المرحوم من حكمة وفطنة في تسييس الأمور، وحسن تسييرها.
- أن هذه القصائد كشفت عن خيرية الشيخ المرحوم على وطنه الإمارات وعلى الأمة جمعاء.
- أن هذه القصائد كشفت عن رضا الشعب عن الشيخ وما قام به من منجزات مهمة كالاتحاد وتحويل الوطن من صحراء إلى حدائق خضراء.
- أن هذه القصائد كشفت عن حب الشعب والشعراء وتقديسهم لمنجز الاتحاد الذي به قام الوطن من سباته ونهض عملاقا كبيرا.
- أن هذه القصائد كشفت عن إنسانية الشيخ وتعاطفه مع العالم من حوله بمد يد العون والسخاء والكرم للقريب والبعيد منهم.
- أن هذه القصائد كشفت عن مقدار التواضع والهدوء اللذين اتصف بهما الشيخ مع فطنة وحكمة ودهاء غير منظور في تسييس الأمور وحل الأزمات.
- أن هذه القصائد حافظت على درجة فنيتها عالية سامية مراعية مقام من وجهت إليه.
- أن هذه القصائد كشفت عن رعاية سموّه للمبدعين، وإتاحته الفرصة لهم ليعبروا عن إبداعهم، وأن يقدموها لشخصه؛ لأنها في الأصل ترصد جانبًا من تاريخ بلده، في عهد حكمه له.

- أن هذه القصائد جعلت منجز الاتحاد أعظم المنجزات، ولذلك لا تلبث أن تردده في كل مناسبة ومع كل قصيدة.
- أن صوت هذا الشعر الذي نقل إلينا صورة الشيخ وتفاعل معها هو في حقيقته صوت الجماعة من الشعراء وصوت الجماهير العريضة، التي عبر عمها بأحاسيسه الصادقة.
- وأخيرًا نسجل أن قصائد حمد أبو شهاب كانت كالمرآة الصادقة التي عكست صورة سمو الشيخ زايد– طيب الله ثراه– بكل تجلياتها، وما تتصف به من شمولية الخصال: تفرد الزعامة والحكمة والإنسانية والخيرية، وتحقيق الأمجاد والمنجزات، والعطف والتواضع والود، والعدل والأمانة، والكرم والسخاء، والحب المتبادل بينه والشعب.

**التوصيات:**

يوصي الباحث بأن يحظى شعر حمد أبو شهاب بكثير من الدراسات لروعة سبكه، وعلو فنيته، وتنوع موضوعاته، مع الاهتمام أيضا بالشعراء المعاصرين له؛ لكونهم شواهد على مرحلة مهمة من مراحل تطور القصيدة العربية في الإمارات، ونهضتها وحيويتها.

كما يوصي باتساع نطاق البحث ليتم رصد دور الشيخ زايد في نهضة الحركة الأدبية في عصره، بما قدمه من تشجيع ورعاية للمبدعين، وبما أنتجه أيضا من إبداع.

**الهوامش:**